

النشاط التخيلي عند الأطفال

بحث تجريبي في رسومهم وتفسيرهم لبقع الحبر

بقلم : محمد عماد المير اسماعيل

مدرس الفلسفة بمدرسة الفيوم الثانوية

مقدمة : أنواع التخيل ومراحله

تطلق كلمة التخيل في علم النفس على عمليتين متميزتين :
الأولى : استرجاع الصور الحسية في الذهن ، والثانية ربط هذه الصور بعضها ببعض بحيث تستحدث مركبات ذهنية جديدة . وللتمييز بين هاتين العمليتين يطلق على الأولى اسم التخيل الاستحضاري Reproductive imagination أو التصوير Imagery وفي الثانية اسم التخيل الإنشائي Productive imagination ويمكن تمييز أنواع مختلفة من الصور Images فهي تختلف أولاً باختلاف الحواس بحيث تستطيع أن تميز بين صور بصرية وصور سمعية وأخرى حركية... الخ ثم هناك من ناحية أخرى تلك الظاهرة الطبيعية التي تسمى بالصور « اللاحقة » التي تظهر عقب تركيزنا البصر في شيء وهاج إذ نرى عندئذ صورة الشيء نفسه في لون من الألوان المكتملة . كذلك توجد الصور « الارتسامية » Eidetic images التي توجد عند الأطفال قبيل البلوغ حيث يرى الطفل في بعض الأحيان صورة شيء كان قد رآه واضحة وضوحاً غير عادي . ونوع آخر من الصور هو الصور اللفظية ، فالعنى بعد أن يتكون في الذهن تنوب عنه الكلمة التي ترمز له .

وقد يكون الربط بين الصور في التخيل حراً أو مقيداً : فالتخيل المقيد هو الذي يوجه نحو إنجاز أو تحقيق غرض . من الأغراض ومن مظاهره التصميم والاختراع ، ففي التصميم يضع الشخص غرضاً معيناً نصب عينيه ويوجه فكره كله نحو تحقيقه .

أما في التخيل الحر فيجول الذهن هنا وهناك دون غاية معينة وتظهر في لحظات التراخي والسكسل العقلى على شكل أحلام اليقظة والأوهام (fantasy). كما ينقسم التخيل من ناحية أخرى إلى إبداعي Creative وتفسيرى Interpretative وفي الأخير يترجم الإنسان ما يقرأ أو يسمع من وصف بوساطة صور ذهنية في حين أنه في الأول يؤلف هو بين صور من عنده كما قلنا.

وأول أنواع التخيل بالطبع وأساسها هو التخيل الاستحضارى . وهذا هو النوع الوحيد من التخيل الذى نستطيع أن نجده عند الأطفال دون الثالثة . ويصل التخيل الإبداعي إلى أقصى درجة فيما بين الثالثة والخامسة ويمتاز التخيل في هذه المرحلة بالخرافات وعدم تقيده بما يمكن أن يقع ثم يتدرج الطفل بعد ذلك من الوهمية إلى الواقعية كلما كبر فيصبح الطفل فيما بين العاشرة والثالثة عشرة مقيداً في تخيله بما هو ممكن ويفقد التخيل عنده ميزته الوهمية ويصبح عملياً كما يميل إلى الحصول على نتائج. هذه بوجه عام هي أنواع التخيل ومراحلها وسنحاول في هذا البحث أن ندرس طبيعة التخيل الإبداعي في هذه المراحل وبخاصة فيما بين سن الخامسة والسادسة . دراسة تجريبية الغرض منها بيان الأساس الذى يبنى عليه التخيل عند الأطفال والعوامل المختلفة التى تؤثر في طبيعته ثم نحاول بعد ذلك أن نفسر الوظيفة التى تؤديها هذه الظاهرة النفسية الهامة عند الطفل . وقد اخترنا لدراستنا مظهرين هامين من مظاهر النشاط التخيلي : أولهما رسوم الأطفال والثاني تفسير بقع الخبر .

تفسير بقع الخبر

عرضت هذه البقع الأربع على عشرين طفلاً^(١) نصفهم من الإناث ونصفهم الآخر من الذكور وكانت سنهم جميعاً تتراوح بين الخامسة والسادسة. أما طريقة العرض فتمتلخص في أن كل بقعة كانت تعرض على الطفل ويعطى فرصة للبحث عما يشبهها

(١) أجريت هذه التجارب على أطفال الروضة في مدينة القيوم سنة ١٩٤٥ .



رسم (٢)



رسم (١)



رسم (٤)



رسم (٣)

من الصور المختلفة في ذهنه إلا أنه يكون محصوراً بالطبع في حدود الشكل الذي أمامه وهذه الاستجابات وسيلة طيبة لمعرفة بعض الأفكار والأوهام التي لا يعبر عنها الأطفال عادة فتكون كل بقعة نواة إدراكية تثير عدة أفكار عند الطفل ويستطيع حتى غير الخيالي من الأطفال أن يرى شيئاً في بقعة الخبر أو توحى إليه بسلسلة من الأفكار لها أهمية خاصة عنده . وفيما يلي الملاحظات التي لوحظت أثناء العرض :

كان الشبه الذي يجده الطفل بين البقعة وشيء آخر في بعض الأحيان قوياً جداً لدرجة ينقلب معها الشبه إلى ذاتية فالبقعة (٣) مثلاً لا تشبه حصاناً بل هي نفسها حصان (وقد لاحظ كيركباتريك Kirkpatrick أيضاً هذه الملاحظة) : وقد كان هذا يجعل الطفل الذي وجد شبيهاً بالبقعة غير قادر على أن ينتقل من هذه الصورة إلى صورة أخرى . فإذا كانت البقعة حصاناً لا يمكن أن يجد فيها الطفل شيئاً آخر فإذا ما قلبت البقعة مثلاً وطلب إلى الطفل أن يرى ماذا أصبحت تشبه، ضحك وقال إن الحصان

الآن مقلوب . وتختلف قوة الشبه والذاتية هذه باختلاف الأفراد بالطبع ، فتأثير البقع على البعض كان قوياً جداً لدرجة أنه أثار فيهم انفعالات خاصة وبعبارة أخرى فإننا نستطيع أن نستنتج أن الصور التي تتصل بانفعالات خاصة في ذهن الطفل كانت واضحة حية . وفي هذا ما يؤيد القول بأن الحياة الوجدانية تؤثر تأثيراً قوياً على خيال الطفل في هذه الفترة ، إن لم يكن خياله كله مصبوغاً بهذه الصبغة . ومن الأمثلة الواضحة في هذا الصدد رد الطفلة (ل) على البقعة رقم (١) بأنها « قطتها الشرسة التي خدشتها مرة » . وكادت تمزق الورقة من الغضب . ومثل هذه التأثيرات القوية تتصل دون شك بالعقد النفسية أو المشاكل الوجدانية عند الطفل خصوصاً إذا كانت الانفعالات هي الخوف أو الغضب ولذلك كانت هذه التجارب صالحة جداً للبحث في الحياة الوجدانية للطفل إذ أنها تسمح للمخاوف والرغبات الذاتية عنده أن تظهر وتسقط في الخارج .

ويمكن أن نستنتج أيضاً من قلة عدد الاستجابات بالنسبة للبقعة الواحدة أو بمعنى آخر تقييد الطفل بصورة واحدة وتمسكه بها ، شدة التخيل عند الطفل في هذه الفترة ووضوحه . وهذا الوضوح في الواقع هو ما يتميز به التخيل عند الطفل لدرجة أنه قلما يفرق بين صورة خيالية وهمية وصورة تذكيرية ويصل في بعض الأحيان إلى عدم إمكان الطفل أن يميز بين المدرك الحسى والصورة ويظهر هذا الخلط على وجه العموم من سن ٣ — ٦ سنوات وهذا هو الذى يؤدي إلى الكذب البرىء عند الأطفال في هذه السن . والواقع أن حياة الطفل العقلية في هذه الفترة ليست سوى أوهام وأحلام فالطفل الذى لا يستطيع أن يركز انتباهه في موضوع واحد أكثر من خمس دقائق متتالية لا يستطيع أن يقوم بمجهود عقلى على شكل انتباه مركز لمدة طويلة فكيف يتجه نشاطه الفكرى إذن ؟ إنه لا شك يكون مشغولاً ببقية هذا الوقت الطويل من يومه في عمل لا يتطلب جهداً ولا طاقة كبيرة : ذلك أنه يكون سابحاً في أحلام يقظته وفي أوهامه التي تكون بعيدة كل البعد عن الحقيقة والواقع ومتصلة كل الاتصال بمشاكله الوجدانية الخاصة .

ومن الملاحظات الجديرة بالاعتبار أيضاً على هذه الاستجابات ذلك الميل إلى إسناد الحركة والحياة إلى البقعة ، فالطفل لا يرى مثلاً طائرة ساكنة بل يراها متحركة في وسط السماء التي تمثلها الأرضية البيضاء تحت البقعة . وهذا الميل إلى إسناد الحركة والحياة إلى الأشياء الجامدة أكبر دليل على وجود الخيال المبدع عند الأطفال تلك القدرة التي عليها يعتمد نشاط الطفل في اللعب « الإيهامي » Make-believe وتسمى هذه المرحلة التي يمتاز فيها الطفل بإسناد الحركة والحياة إلى الأشياء على النحو الذي تكون عليه الحياة الإنسانية بالمرحلة « الحيوية » Animistic stage .

وإذا لاحظنا على هذه الاستجابات أيضاً أن معظمها يدل على حيوانات أو أشياء حية على وجه العموم (كما يظهر من الجدول) وأن هذه الحيوانات أو الطيور تمثل مخاوف الأطفال أو الأخطار التي يتصوروها تهددهم — كان هذا مؤيداً لما قلناه من أن الحياة الوجدانية هي أساس التخيل في هذه الفترة .

وهناك ملاحظة أخيرة وهي أن استجابات البنات كان يغلب عليها الملابس والأشياء المنزلية أكثر من البنين وفي هذا ما يدل على أن المنزل والأشياء المنزلية على وجه العموم من الأشياء التي تهتم بها البنات الصغيرة .

نسبته المئوية إلى المجموع	الشيء المتصور في البقعة
١٠	أناس
٢٠	حيوانات
٦	طيور
٢٥	أشياء حية أخرى
٦١	المجموع
٢,٥	ملابس
١٠	أشياء منزلية
٢٦,٥	متنوعات أخرى
٣٩	المجموع

رسم الأطفال

أما في مجال الرسم فقد تسنى لنا أن نحصل على ٥٠٠ رسم^(١) تقريباً في موضوعات

(١) أعطيت معظم هذه الموضوعات لتلاميذ الروضة والمدرسة الابتدائية بالفيوم وقاموا برسمها بدون أية مساعدة وقد أخذت أعمار التلاميذ الصغار من سجلات المدرسة .

مختلفة لأطفال تتراوح أعمارهم بين ٥ و ١٣ سنة . ومن هذه الرسوم ومما كتبته الآخرون عن رسوم الأطفال استطعنا أن نستخلص الحقائق التي جاءت في هذا الصدد إذا تتبعنا مراحل الرسم المختلفة عند الطفل نجد أن أولها هي المرحلة التخطيطية (Scribbling stage) وفيها يأخذ الطفل في عمل تخطيطات هوجاء متسعة وبسيطة ثم تأخذ في القصر شيئاً فشيئاً كلما زادت سيطرة الطفل على حركاته كما أنها تكون مستقيمة الشكل أولاً تقريباً ثم تصبح مستديرة ثم حلزونية — ثم تقل هذه الخطوط الكثيرة تدريجاً حتى يخرج الطفل منها بصورة إيطارية (Schema) وهذه هي المرحلة الثانية . فالمرحلة الأولى إذن مرحلة يبحث فيها الطفل عن طريقة لاستحضار الشكل — والخط الإيطاري (Schematic line) إنما يخرج من تلك التخطيطات التي سبقته أي أنه انتخب الطفل من بين خطوط كثيرة لما يراه معبراً عن الصورة في نظره . وإذا ما عرفنا ذلك أصبح من السهل علينا أن نفهم أن الصورة الإيطالية عند الطفل إنما تعكس ما يميز شخصيته . وبهذا يمكننا ، بالبحث في الرسوم عند الأطفال وتحليلها ، أن نكشف عن شخصياتهم ونعرف خبايا نفوسهم وقد لاحظ « لوفنلد »^(١) في تجاربه على مئات الأطفال في الرسم أن الطفل رقيق الإحساس القلق تظهر مميزاته الشخصية عند رسم صورة إنسان في تلك الخطوط الدائرية غير المحدودة وغير المقفلة . كما أن الطفل ذا العزم والتصميم يرسم صورة الإنسان في خطوط مرعبة . من هذه الحقائق يتضح أن الرسوم التي يرسمها الطفل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنفسه الفردية ، فهي ليست رموزاً اختيارية بل يقررها التكوين النفسى والجسمى . ولا يصدق هذا على تصوير الطفل للإنسان فحسب بل أيضاً على تصويره للأشياء والمسافات .

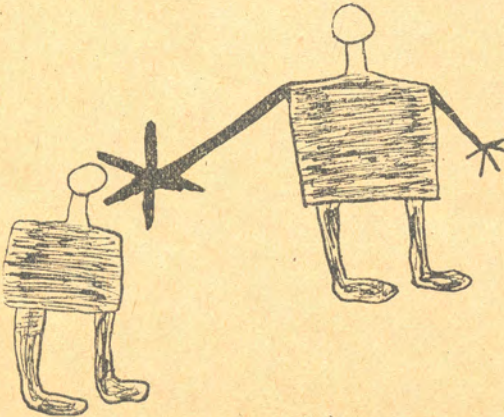
وتصوير الطفل ليس جامداً أى أن الصورة الإيطالية التي يرسمها ليست واحدة في كل حالة بل هي دائماً في تغير كما أنها تختلف من طفل إلى آخر . وهذه الصورة

V. Lowenfeld : The Nature of Creative Activity, London. (١)
Kegan Paul. 1939, p. 22.

غير الجامدة تجريد لاشعوري لما يراد التعبير عنه . ولا شك أننا إذا ما درسنا أنواع التعديلات التي تطرأ على الصورة الإطارية التي يرسمها الطفل استطعنا أن نعرف العوامل التي تسيطر على تخيله .

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن تأليف الأطفال ضعاف البصر في الرسم هو نفسه تأليف الأطفال سليمي البصر وهذا بالإضافة إلى ما سبق أن قلناه من أن الصورة الإطارية تعبير صادق عن التكوين النفسى والجسمى عند الطفل يجعلنا نقرر حتما استبعاد التجارب البصرية كأساس هام في تقرير رسوم الأطفال . فالطفل كما سنرى لا يتصور الأشياء على حقيقتها وهو في هذا المجال كشخص ضعيف البصر لا يلعب بصره دوراً هاماً في إدراكه للأشياء أو في تصويره لها . ولنحلل الآن بعض رسوم الأطفال لتتضح لنا العوامل التي تؤثر فيها وبالتالي في النشاط الإبداعي لدى الطفل .

وأول عامل من هذه العوامل التجارب الجسمية : طلب إلى أطفال ما بين ٧ و٥ سنوات رسم « طفلين يجريان وقد استطاع أحدهما أن يلحق بالآخر ويمسكه » فوجد أن جميع الأطفال يرسمون الذراع ، أو الأذرع الممدودة للإمساك أطول بكثير من الذراع أو الأذرع الأخرى التي قد لا يكون لها وجود بالمرّة فالطفلة « ع » مثلاً وعمرها ست سنوات وثلاثة أشهر تبين (شكل ١) ذراع الطفل الذي يمسك طويلة وذات أصابع غليظة في حين لا يظهر للطفل الآخر أذرع بالمرّة . فما الذي يدل عليه ذلك التأكيد في طول الذراع ؟



(شكل ١)

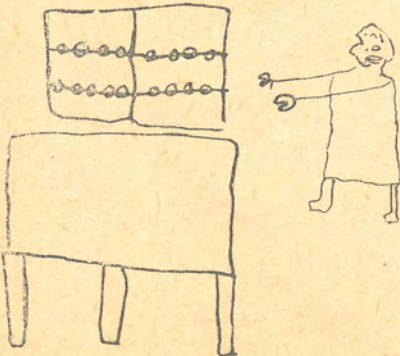
إن الطفل يعبر بذلك دون شك عن الإحساس الذاتي أو الحركة التي أحدثتها الذراع كما أن حذف الأذرع أو تقصيرها من ناحية أخرى دليل عدم أهميتها أو بمعنى آخر فإنها لا تثير فيه انفعالا أو تكون جزء من تجاربه الذاتية .



(شكل ٢)

كذلك في « رسم » رجل يرفع حجراً ثقيلاً (شكل ٢) نجد أن الرجل وهو يرفع الحجر يطول ذراعه إلى أن يصل إلى الأرض أما بعد رفعه فإن ذراعه تقصران وتؤكد الطفل (ف ٧ سنوات، ٦ أشهر) بطول الذراعين هنا فيه معنى الإحساس بأن الجهود العظيم الذي لم يكن مناسباً لرفع الحجر قد جذب ذراعي الرجل. فالذي أثر في رسم الطفل هنا أيضاً التجربة الجسمية الذاتية. والأمثلة التي توضح أثر هذا العامل كثيرة وإن لم يتسع المجال لنشرها جميعاً كرسم « رجل عنده صداع » يجعل رأسه كبيراً جداً « ورجل خائف من كلب شرس في الطريق » بتضليل كفيه اللتين ترمزان إلى الخوف والارتعاش وجعلهما أكبر من المعتاد. وهكذا يلاحظ على رسوم الأطفال عامة أن النسب تتغير فيها تبعاً للتجارب الجسمية الذاتية إذا كان الرسم معبراً عن صورة إنسان.

ولننظر الآن كيف يعبر الطفل عن الأشياء الخارجية: كلف أطفال كل برسم نفسه



(شكل ٣)

« وهو يتسلم هدية عظيمة في عيد ميلاده » وقد عبر معظم الأطفال عن وقع الهدية في أنفسهم بجعلها كبيرة الحجم نسبياً كما يتضح من (شكل ٣) فالطفل لتقديره العظيم واهتمامه الزائد بالهدية أصبح لايهم بالعلاقة بينها وبين الأشياء الأخرى فحجم الهدية

هنا كبير لأن الطفل لا يعرف النسب بل لأنه أراد بذلك أن يعبر عن شيء في نفسه . فتأكد القيمة هنا هو الذي يؤثر على تصوير الطفل للأشياء الخارجية . ويظهر أثر هذا العامل أيضاً بشكل واضح عند ما يحاول الأطفال رسم أشياء كثيرة مجمعة في مكان واحد ، إذ أنه هنا لا يعنى بالنسب المكانية بين الأشياء بل يرسم هذه الأشياء متناثرة دون ما علاقة أو نظام وذلك لأن الطفل كما يقول بوهلر Bühler « يفترق إلى تخيل مكاني منظم تنظيماً انتقائياً Critical ، والواقع أنه قد استعاض بتنظيم آخر حسب القيمة order of values وعلى ذلك يكون موقف الطفل بإزاء الأشياء موقفاً غير بصري » ويظهر هذا في (شكل ٤) حيث رسم الطفل (ف) مائدة الطعام وتبدو فيها المميزات الأساسية إلا أن الأشياء لا علاقة بينها فالكسكين معلق في الهواء وكذلك البرتقال والموز .



(شكل ٤)

ومن مظاهر هذا التفكك الخلط في استعمال المسقط الرأسى والمسقط الأفقى للأشياء ، ففي الشكل السابق مثلاً نرى أن الطفل قد رسم المائدة والكراسى فى مسقط أفقى فى حين رسم السكين والموز والبرتقال فى مسقط رأسى لأنه

يهتم أن يوضحها ولا يهتم بما هو ودون ذلك من نسبتها إلى بقية الأشياء . ومما هو جدير بالملاحظة أن هذا الطفل نفسه قد رسم المائدة فى (شكل ٣) فى مسقط رأسى وذلك عند ما أراد أن يعبر بها كمكان لوضع هديته وكأنه بذلك قد أراد أن يجعلها من الكبير بحيث تتسع لهديته العظيمة . أما فى (شكل ٤) حيث أصبحت المائدة مكاناً للطعام لم تكن لها مثل هذه الأهمية ولذا رسمها فى مسقط أفقى . وقد لاحظ (لوفنفيلد ^(١)) أيضاً أن « الطفل عند ما يرغب فى جعل الشيء الذى على المائدة ذا أهمية خاصة فإنه يجعل المائدة مسطحة أى فى مسقط رأسى » .

ويظهر أيضاً أثر الأهمية في التعبير عن المكان في الطريقة التي يرسم بها الأطفال المنازل أو الأشياء المغلقة فانهم يرسمونها شفافة إذا ما أرادوا أن يظهرها ما بداخلها ، وكأنهم بذلك يخضعونها لأشعة X (إكس) !

كما أن تعبير الطفل عن الشارع بخط واحد راجع أيضاً إلى أن الأساس في التصوير هنا هو الحركة والإحساس الداخلي بحيث أنه عند ما يبدأ البصر يتدخل كعامل قوى في استحضار الطفل (في حوالى التاسعة) يبدأ الطفل في الخروج عن خط القاعدة كمعبر عن المكان ويحل محله المساحة فيظهر الامتداد واضحاً . ويعتبر وولف « أن انعدام الخط كمعبر عن المكان يرجع إلى الإدراك البصرى الذى يظهر لنا أن الأرض الواقعة أمام أقدامنا تبدو كأنها ترتفع » .

والآن نستطيع أن نوجز ما قلناه عن رسوم الأطفال فيما يأتى : إن تصوير الأطفال للأشخاص والأشياء والمكان لا يعتمد على البصر بل إن هناك عاملين هامين يؤثران عليه وهما أولا التجارب الجسمية الذاتية وثانياً أهمية الشيء بالنسبة إلى الطفل وبذلك لا يجب أن ننظر إلى أخطاء الأطفال في رسومهم على أنها نتيجة لعدم إدراكهم للنسب أو العلاقات ، فالطفل يعرف دون شك أن الرجل يدين ولكنهما قد لا يوجدان في رسم الرجل كما أنهما قد يوجدان بنسبة خاطئة ، وقد يوجدان بنسبة صحيحة . والواقع أن للطفل وجهة نظر خاصة يتصور خلالها الأشياء وذلك بحسب ما تثير فيه من شعور سواء أكان ذلك تجربة جسمية ذاتية أم تجربة نفسية وجدانية ، فالطفل محصور هنا في دائرة ذاته على العموم . وفي ذلك ما يؤيد ما قلناه من أن تخيل الطفل هو انعكاس حياته ومشاكله الوجدانية وذلك في صور رمزية .

ونستطيع أن نشبه الأطفال في رسومهم بمدرسة التأثيرين أو الرمزيين Impressionists فهم لا ينقلون عن الطبيعة بل يعبرون عن شعورهم نحو هذه الطبيعة ولكي نرى تطور الأطفال من هذه التأثيرية إلى الواقعية Realism علينا أن نتتبع قدرتهم على التركيز البصرى، كما أن خروج الطفل من المرحلة الخيالية إلى المرحلة

الواقعية في التفكير يعتمد على القدرة على التركيز الفكري . ولأجل معرفة مراحل هذا التطور أعطى الموضوع الآتي لحوالي ٤٠٠ طفل تتراوح سنهم ما بين ٥ و ١٣ سنة فكانت النتيجة ما يظهر في الجدول الآتي :

الموضوع : « بينما كنت جالساً تحت شجرة برتقال لحت برتقالة لذيدة لم ترمثلها من قبل . وقد انتهيت أن تحصل على هذه البرتقالة فوقفت ومددت يدك لتأخذها



(شكل ٥)

٦ سنوات

ولكنها كانت تلوك بقليل فأخذت تمد في ذراعك وفي جسمك إلى أن حصلت عليها . ارسم نفسك وأنت تحصل على البرتقالة » .

والمقصود من هذا الموضوع بالطبع دراسة العوامل التي تتدخل وتسيطر على رسوم الأطفال وبالتالي على تخيلهم في السنين المختلفة .

الجدول (الأرقام في نسب مئوية تقريبية)

العمر بالسنوات	٦,٥	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣
صورة إطارية جامدة للشجرة (لا يفهم منها شيء)	٨٠	٥٧	٤٣	٣٠	٢٣	٨	٣	٣
صورة إطارية جامدة للإنسان (« » »)	١٦	٢٩	٣٥	٤٨	٣١	٢٥	١٣	٩
تأكيد أهمية البرتقالة أو الشجرة	١٥	٣٥	٣٧	٤٧	٤٥	٣٩	١٩	٣٩
تأكيد طول الذراع أو الجسم	٦٥	٥١	٥٠	٣٠	٣٧	٣٢	٢٧	٢١
رسم واقعي للشجرة	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٦٠	٦٢	٨٠	٧٨
رسم واقعي للإنسان	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٦	٣٤	٥٠	٦٠
لا علاقة بين الإنسان والشجرة	٢٦	٢٨	٣٧	٤٤	٤٣	١٩	١١	٣

ومن أهم ما يلاحظ في هذا الجدول أنه في سن الخامسة والسادسة لا يظهر تأكيد معنى خاص للشجرة بينما الأغلبية يعبرون عن مد الجسم والذراع تعبيراً واضحاً يبدو

في طول الجسم أو الذراع (شكل ٥) أما الذي يسيطر على الرسم هنا فهو التجربة الجسمية الذاتية ويتضح هذا أيضاً من نسبة الصورة الجامدة للإنسان ، أى التى لا تعبر عن

شئ ، فهى ضئيلة جداً بالنسبة للصورة الجامدة للشجرة ثم تزيد بعد ذلك نسبة الصورة الجامدة للشجرة وذلك لأن الطفل يبدأ بعد ذلك يهتم بالعالم الخارجى وبالتالى تضعف التجارب الجسمية الذاتية كعامل مسيطر على الرسم ويبدأ عامل الأهمية ، ثم يتدخل عامل البصر تدريجاً ويبدأ الرسم الواقعى .



(شكل ٦) ١٠ سنوات

ويظهر الرسم على أساس التقدير أو الأهمية من الأرقام التى تدل على زيادة تأكيد الشجرة والبرتقالة بتكبير حجمها فهى تصل إلى أقصاها فى سن العاشرة (شكل ٦) كما تصل نسبة الرسم الواقعى إلى أقصاها فى سن الثالثة عشرة (شكل ٧) ويقصد بالرسم الواقعى إظهار



(شكل ٧) ١٣ سنة

بعض التفاصيل التي تدل على محاولة إظهار الواقع . أما نسبة الذين لم يستطيعوا أن يصوروا تصويراً حقيقياً إلى سن الثالثة عشرة فترجع إلى وجود أفراد ليسوا بصريين في تصورهم .

ومما هو جدير بالملاحظة أيضاً زيادة النسبة التي تبين عدم وجود علاقة بين الإنسان والشجرة وذلك في سن التاسعة والعاشر (شكل ٦) إذ أن في هذه السن تتزعزع ثقة الطفل في قدرته الإبداعية لأن حرصه على تصوير الحقيقة لأول مرة يريه بعد الشقة بين هذه الحقيقة وما كان يفعل في رسومه السابقة ، فيحدث هذا عنده تردداً واضطراباً في رسومه .

وظيفة التخيل

بقي لنا أن نقول كلمة عن وظيفة النشاط التخيلي عند الطفل في تلك المرحلة الوهمية التي لا تكون حياته العقلية فيها سوى أوهام وأحلام . فقد قلنا إن الأساس في تخيل الطفل هو حياته الوجدانية وبخاصة المخاوف العديدة التي تعرض له في هذه المرحلة التي يكون فيها قليل الخبرة قليل الحيلة في بيئة تظهر له على العكس أن كل ما فيها كبير وقوى . وعلى ذلك اعتاد الكثيرون أن يظنوا أن التخيل هو مجرد حاجة تلك العقلية الضعيفة القليلة الخبرة إلى أن تتحول عن مواجهة الحقيقة الجافة الصعبة في العالم الخارجى فتحقق لنفسها الاتزان . إلا أن وجهة النظر هذه تترك لنا دون تفسير أهم عنصر من عناصر الخبرة في الحياة المبكرة والواقع أن التحليل الدقيق لمظاهر التخيل عند الطفل يجعلنا نجزم بأنه ضرورى للتطور الوجدانى ، حياة الطفل العقلية والوجدانية في الخمس سنوات الأولى لا ينفصلان . وأمام الطفل مشا كل لا بد أن يجد لها حلاً وتيسيراً . ولا وسيلة عند الطفل — القاصر الخبرة — لحل هذه المشاكل سوى أحلام اليقظة التي تسقط هذه الاحساسات وهذه المشاعر إلى العالم الخارجى فالطفل لا يستطيع أن يتغلب على انفعاله الغامض قبل أن يرمز له بصورة ما من الصور الوهمية — فوظيفة التخيل الأولى هي أنه يجعل الطفل يعتمد الأشياء التي

تسبب له المخاوف . فبالتدريج يخترع الطفل في خياله الوسائل التي تجعله يتغلب على تلك المخاوف .

ويدون أن الطفل في محاولته أن يكفي حاجته سواء أ كانت طبيعية أم عقلية يقف أولاً موقفاً موضوعياً باحتكاكه بالبيئة ويتلو هذا مباشرة ارتداده على نفسه وعكوفه على خياله كي يفهم ويهضم ما اكتسبه فهو لا يستطيع أن يتصل بمشكلة بأجمعها مرة واحدة وبسرعة . وبهذا التذبذب بين الطريقة الموضوعية والطريقة الذاتية يتكرر اتصال الطفل بالحقيقة ويكمل ويصحح أفكاره التي يتعامل على أساسها مع الآخرين . أى أن التفكير يبدأ من الاحتكاك بالبيئة وينتهى بالتعبير عن الذات في البيئة ؛ وفيما بين هاتين العمليتين يقوم الطفل بما نسميه أحلام اليقظة ومثل هذا التفكير يعد الطفل لمواجهة المشاكل في المستقبل بشكل موضوعي عند ما يصبح أكثر استعداداً لمثل هذه المحاربة .

Résumé

M. IMAD EL-DINE ISMAÏL : L'imagination des enfants.

• Etude expérimentale basée sur l'interprétation des taches d'encre et sur 500 dessins faits par des enfants âgés de 5 à 13 ans, fréquentant les jardins d'enfants et les écoles primaires de la ville du Fayoum (Egypte). Les réponses aux taches d'encre comprennent 61% portant sur des objets animés. L'évolution allant de l'attitude subjective (intérêt, désir) à l'attitude objective (sens de la réalité extérieure) se manifeste d'une manière concrète par les changements graduels de la représentation de l'idée par le dessin.